

فكذب بلا إثم وبأس بلا قوى ... وسكر بلا خمر وشغل بلا كسب
 فمن كان يزري بانقريض فإننا ... رضينا من الدنيا بتعذيبه العذب
 ومن كان يستحلي من الشعر كذبه ... فهذه حياة الشاعرين بلا كذب
 بيروت - طانيوس عبده

قوائم المكاتب العربية

انتبه الإنسان حينما بدأ يجمع الكتب منذ القديم إلى وضع قوائم أو فهراس أو برنامجات
 لتعريف الكتب بأسمائها وموضوعاتها وأسماء مؤلفيها ومختصر تراجمهم ووصفها وما يتعلق
 بذلك من الشؤون اللازمة لتمييزها وتعريفها. ولقد وضعت الفهارس المشهورة في مجلدات
 كثيرة ضخمة الجوانح الطبيعية فناها ما نال غيرها من الكتب من السبي والنهب والحرق
 والإغراق في المياه والتمزيق ونحو ذلك ففقدت تلك الفهارس أو القوائم وفقد معها
 تعريف المكاتب ومحتوياتها مثل مكاتب العجم والعرب في العراق والشام ومكاتب مصر
 والمغرب والأندلس فاحتجنا إلى الطواف في البلدان والتقصي في البحث لنقف على شيء
 منها وهي أعز من الكبريت الأحمر لكن المطابع أظهرت لنا بعضها ومن أقدم القوائم ما
 وضع بمكاتب العباسيين في زمن الرشيد وولده المأمون كما يستفاد من كتاب (الفهرست)
 لابن النديم إذ أنه أعتمد على مثل هذه القوائم في وضع كتابه وهكذا نشأ فن وصف
 المؤلفات والمؤلفين بحسب كلف الأدباء بالمطالعة واقتناء الخرائن ومن أهم هذه المؤلفات
 في وصف الكتب ما وضع قبل عصر النهضة الحديثة وهو:

١ فهرست ابن النديم وهو المتوفى سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) ويعرف بقمطر الكتب ولا
 تزال نسخه الكاملة نادرة حتى أن نصفه في مكتبة فينا (النمسا) والنصف الثاني في مكتبة

الأمة في باريس (فرنسا) والظاهر أنه أول كتاب من نوعه أفرد لوصف الكتب وهو مجموع قوائم المكاتب التي عرفت في أيامه والكتب التي كانت موفودة لذلك العهد. وقلما نجد له ذكراً في الكتب التي بين أيدينا لقلّة نسخته .

٢ فهرست ابن النديم لمؤلفه أبي الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم البغدادي الورّاق المتوفى نحو سنة ٣٨٥هـ (٩٩٥م) وقد بدأ بطبعه المستشرق الشهير فوستاف فترغل المتوفى سنة ١٨٧٠م مع ملاحظات وتحقيقات فأعجلته المنية عن إتمامه فأنتجوه بعده هرمان رودريغر وأوغست ملو فطبع الكتاب سنة ١٨٧٠م بالعربية في مدينة ليبسيك في ٣٦٠ صفحة بقطع نصف كبير والحق به جزء ضخيم في ٢٧٩ صفحة ضمن التفاسير والتعليق والاستدراكات بالعربية والنسوية محتوماً بفهارس للإعلام طبع سنة ١٨٧٢م وقد استدرك أحد المستشرقين على هذه الطبعة أول المقالة الخامسة صفحة ١٧٢ فنشرها في مجلة ألمانية سنة ١٨٨٩م وهذا الفهرست هو من أهم وأقدم القوائم التي تعرف الكتب والعنوم وتشير إلى موضوعاتها أحياناً وعليه يعتمد دارسو آداب اللغة والمولعون بمعرفة المؤلفات والمؤلفين. وفي هذه الطبعة نواقص أشير إليها بأصفار من مثل أسماء الأعلام والكتب وسني الولادة والوفاة ونحو ذلك مما أفردت له مقالة خاصة.

٣ طبقات الأمم لأبي قاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي القرطبي قاضي طليطلة في الأندلس المتوفى سنة ٤٦٢هـ (١٠٦٩م) بدأ فيه بتعريف العلوم عند الأمم كالأند والفرس والكلدان واليونان والروم والمصريين والعرب وبني إسرائيل وذكر المؤلفين فيها وكتبهم وأطال عن العرب في العراق والشام ومصر

والأندلس بلاد المؤلف وقد نشر في مجلة الشرق (٥٦٦: ١٤ فصاعداً) وطبع بكتاب على حدة.

٤ فهرست الكتب والتأليف لأبي بكر محمد بن حير بن خليفة الأشبيلي الأندلسي من علماء القرن السادس للهجرة. وصف فيه ١٤٠٠ كتاب في كل علم مع أسانيد ما رواه عن شيوخه في العلوم والمعارف. طبع هذا الفهرست أولاً ملحقاً لكشف الظنون في ليبسك من سنة ١٨٣٥ - ١٨٥٨م ثم نشرته مجلة أسبانية بعناية فرنسيس كوديرا سنة ١٨٩٤م في مدينة كازيروكوسته.

٥ القصيدة اليائية في أسامي الكتب العلمية - لشرف الدين محمد بن عمر القدسي الكاتب المتوفى سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م) ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة) بقوله وما رأيت من ألف فيه شيئاً غيره وقد عرفت حال النظم وضيقه عن استيعابه كما ينبغي فيكون أول قوائم الكتب الشعرية.

٦ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد - لأبي الجود شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني السنجاري الأصل المصري المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) ومداره على وصف العلوم وأهم الكتب المؤلفة فيها طبع في مصر سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) وفي بيروت بعناية الشيخ طاهر الجزائري سنة ١٩٠٤م في ١٤٨ صفحة. ومنه نسخ كثيرة مخطوطة في المكاتب وفي مكتبة منشئ هذه المقالة نسخة منه متقنة مضبوطة قديمة.

٧ فهرست السيوطي - وهو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين بن محمد الخضير السيوطي المشهور بمؤلفاته الكثيرة في العلوم والفنون نشر (فهرسته) في

كشف الظنون أيضاً طبع ليسيك كما مر آنفاً وتوفي السيوطي هذا سنة ٩١١هـ - (١٥٠٥م).

٨ فهرست ابن خليل السكوني - ذكره المقري في نفح الطيب (٤٩٩: ٢) أنه روى ما حرفيته:

شاهدت بجامع العديس بأشبيلية أربعة مصحف في أسفار ينحى بها نحو خطوط الكوفة إلا أنه أحسن خطأ وأبينه وأبرهه وأتقنه. فقال له الشيخ الأستاذ أبو الحسين ابن الطفيل بن عزيمة هذا خط ابن مقله. ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع فالألفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى فيستدل من هذا الوصف أن فهرست السكوني في الكتب لأنه وصف المصحف وصف الخازن أو الفهرسي.

٩ مفتاح السعادة ومصباح السيادة - لعصام الدين أبي الخير أحمد بن المولى مصنع الدين مصطفى بن خليل الملقب بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ - (١٥٦٠م) وقد طبع منه جزآن في الهند والجزء الثالث لا يزال مخطوطاً وهو في تعريف العلوم ثم ذكر المؤلفين وما ألفوه مما أفردت لوصفه مقالة خاصة في مجلة المقتبس هذه وهو يقع في نحو ألف صفحة مطبوعة مرتب على العلوم.

١٠ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لمصطفى بن عبد الله كاتب حلبي المعروف بالحاج خليفة (حاجي خليفة) المتوفى سنة ١٠٦٨هـ - (١٦٥٧م) وهو مرتب على حروف المعجم مع مقدمات في العلوم بحسب الحروف التي تقع فيها وقد امتاز عما قبله من القوائم بنقل شيء من مضامين الكتب أو تعريف موضوعاتها وقد طبع مراراً في

أوروبا والأستانة ومصر وهاتان الطبعتان في جزأين كبيرين بقطع نصف كبير. وأضبط طبعاته الأوروبية في سبعة مجلدات وعليها ذيل مفيد في مكاتب الأيام المتأخرة وعدد مجلداتها كما أشرت إلى ذلك في مقالة خاصة.

١١ كشف الظنون في أسماء الشروح والمتون - لكمال الدين محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحنفي العزي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ - (١٦٨٤م) وقد جمع فيه أسماء الكتب على طريقة غريبة. ولم نعلم بوجوده فقلعه مفقود.

١٢ المكتبة الشرقية - ومن أمهات هذه الفهارس المفيدة المكتبة الشرقية ليوסף السمعاني اللبناني المتوفى سنة ١٧٦٧م (١١٨١هـ) وهي باللاتينية وصف فيها المخطوطات القديمة بالعربية والسريانية مترجماً مؤلفيها في ١٢ مجلداً طبع أربعة منها فقط من سنة ١٧١٩ - ١٧٣٠ في رومية والأجزاء الثمانية منها مخطوطة.

١٣ قائمة المخطوطات الشرقية في المكتبة النانية - للسمعاني الأنف الذكر وصف فيها ما في هذه المكتبة من المخطوطات باللغات الشرقية ولا سيما العربية.

١٤ ذيل كشف الظنون في أسماء الكتب واللاحقات - لإبراهيم بن علي الحنفي الرومي رئيس طائفة الجند المعروفين بالحوذين (العرجية) في الدولة العثمانية توفي سنة ١١٨٩هـ - (١٧٧٥م) كما في سلك الدرر للبرادي (١٤: ١) ولا نعلم من أمره شيئاً ولعله في مكاتب الأستانة أو في بعض مكاتب الخاصة. وهو ذيل على (كشف الظنون) للحاج خليفة السابق وصفه. ولو وجدته فلوغل لإضافه إلى الذيل التي ألحقها بطبعته للكشف البالغة منتهى التحقيق والتوسع لأنه أضاف إلى ذلك ذيل كثيرة مثل (آثارنا) لأحمد

حافظ زاده المتوفى سنة ١١٨٠هـ - وفيه أهم الكتب التركية والفارسية التي عرفت بعد الكشف. وغيره مما أفردت له مقالة خاصة مطولة في وصفه ووصف فهرست ابن النديم.

١٥ فهرست مخطوطات الفاتيكان العربية - وهو قائمة المكتبة المشهورة في ملانية رومية ألفه المطران اصطفان عواد اللبناني المتوفى سنة ١٧٨٢م (١١٩٧هـ) بمساعدة خاله السمعاني قيم المكتبة الفاتيكانية الآنف الذكر. وطبعه في ثلاثة مجلدات الكردينال ماي خلخ السمعاني في نظارة المكتبة المذكورة. ثم طبع فهرس الكتب التي دخلت المكتبة بعد ذلك بكتاب آخر ألحق بالأول.

١٦ فهرست مخطوطات كيجي العربية - وضعه المطران عواد المذكور لوصف مخطوطات هذه المكتبة في رومية أيضاً.

١٧ فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المديسية - وهذه المكتبة هي فلورنسة (إيطاليا) وضع فهرسها المطران عواد أيضاً واصفاً فيه ٥٣٧ كتاباً مترجماً معظم مؤلفيها وناقلاً بعض مضامينها مع حواش وتعليق مفيدة.

١٨ فهرست مخطوطات الإسكوريال العربية - وهو برنامج وضعه الخوري مخايل العزيزي الطرابلسي لما استقدمه ملك اسبانيا سنة ١٧٤٨م لتنظيم مكتبة الاسكوريال في مدريد (اسبانيا) التي يسميها العرب مجريط وتوفي سنة ١٧٩١م (١٢٠٦هـ) وقد طبع هذا البرنامج في مجلدين بقطع نصف باللغتين اللاتينية والعربية من سنة ١٧٦١ - ١٧٧٠م بمساعدة بولس خضر الماروني. هذا إلى غير ذلك من الفهارس الأخرى التي لا تزال مخطوطة أو مجهولة أو فقدت أو نقلت إلى المكاتب الأخرى وأغفل أمرها.

وعلى الجملة فإن القدماء اعتنوا بفهارس الكتب التي حفلت بها مكاتبتهم فرتبوها في رفوف وخزائن حسب مواضيعها أو على حروف المعجم ووضعوا عليها أرقاماً (نمراً) ربطوها في القوائم بما لزيادة الضبط.

وقد يعرفون المؤلفات والمؤلفين أحياناً بما يزيل الإبهام أو يكاد لتوارد الخواطر في التسمية وتغيير أسماء المصنفات بحسب الدواعي حتى أن بعض الكتب لها أكثر من اسمين مختلفين وكذلك يقال في المؤلفين وتراجهم.

وقد يطيلون في البحث عن أشياء ليست من أغراض مؤلفي القوائم فيذهبون بالمطالع بين سهول المباحث وحزونها. كما فعل ابن النديم في أبحاثه عن الصابنة وماني وخرافات القدماء مما ليس تحته كبير فائدة مثلما فاه في أبحاثه عن الفلسفة والفلاسفة ونقله الكتب فهي وإن كانت تتجاوز غرضه فتحته فوائدها بالمطالعة وكذلك فعل صاحب الكشف في بعض مواضيعه وقد يقتضون الكلام عن المؤلفات كما فعل ابن النديم في معظمها بخلاف صاحب الكشف. وقد يعرفونها بما يفي بحاجة الباحث مثل تعريف ابن النديم لكتاب (المنتهى في الكمال) صفحة ١٣٧ وذكر فهرست آخر صفحة ١٠٧ وقد يذكرون أثمان الكتب كما وقع لابن النديم في صفحتي ٢٥٢ و ٢٥٣ وغيرهما وصاحب الكشف (٣٣٥: ١) من طبعة الأستاذة وقلنا يشيرون إلى الخزائن التي توجد فيها المؤلفات إلا في القليل كما فعل صاحب الكشف في بعض المواضع.

وكذلك يفعلون سني التأليف والنسخ وما على الكتب من الحواشي إلا ما يورده صاحب الكشف أحياناً.

وعلى الجملة فإن لهذه القوائم القديمة مزايا مفيدة ونواقص استدركها عليهم المعاصرون في ما وضعوه في قوائمهم المتقنة المعرفة للكتاب من حيث حجمه وقطعه وخطه وصفحاته وما في كل منها من الأسطر وعدد كلمات كل سطر وموضوع الكتاب ونقل شيء منه وذكر أقسامه وفصوله وما تبحث عنه في كل ذلك. ثم تعريف المؤلف ومختصر ترجمته وسنة وفاته وما اشتهر به ووضعه من المؤلفات الأخرى. والإشارة إلى ناسخ الكتاب وسنة نسخه ونوع خطه. ومعارضة النسخة بغيرها وذكر ثمنه وتجليده وورقه إلى ما يساوق هذه الأبحاث المفيدة المختومة بفهارس مختلفة لتسهيل المطالعة ويتيسر العثور على المطلوب بأقرب وقت. ومعرفة المؤلفات والمؤلفين من نظرة خفيفة. ما فيه اقتصاد وقي ودقة نظر وصحة بحث. وفي قوائم الخدثين تدقيقات جديرة بالمطالعة كما ستري في مقالة أخرى خصصت بقوائمهم.

زحلة (جبل لبنان) -

عيسى اسكندر المعنوف

فوات نهج البلاغة

مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من الحكمة البالغة التي تتجلى ببرود البلاغة الرائعة ما لا يجهله ذو مسكة من البيان العربي. وهو مع كونه غذي بدر النبوة وارتضع أفوايق الحكمة فهو بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبلغ الهاشميين الذين هم مهبط القرآن ومعدن الإعجاز في البيان وهم أفصح قریش الذين هم أفصح العرب على الإطلاق.